جـامعة الإسكندرية
كـــلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الواقعية السحرية
فى الرواية المصرية المعاصرة

رسالة مقدمة من الطالبة

إيناس نبيل محمد شومان

لاستكمال درجة الماجستير بنظام الساعات المعتمدة

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور

فوزى سعد عيسى
أستاذ الأدب العربى
بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

٢٠١٠م

المقدمـــة

عندما بدأ كتاب أمريكا اللاتينية يرفضون الاشكال الأدبية السائدة ويتمردون على الواقع المؤلم نشأت الواقعية السحرية فى محاولة لتغيير هذا الواقع وبناء واقع أفضل كما يتخيلونه بحيث يقتربون من أحلامهم ورؤياهم وآمالهم ويتحرروا من القمع والظلم والاستبداد ويحلقوا فى آفاق السحر والغرائب والعجائب.

فذهبوا إلى خلق طريقة سردية جديدة وخلق أدب يختص بهم فكانت الواقعية السحرية اتجاهًا جديدًا فى الكتاب الروائية.

وقد نشأت الواقعية السحرية فى أدب أمريكا اللاتينية فى فترة متقدمة من القرن العشرين على يد عدد من كتاب القصة فى أمريكا اللاتينية لعل من أبرزهم هو الكولومبى غابرييل غارسيا ماركيز (١٩٢٨) الذى قيل عنه أنه مؤسس الواقعية السحرية فى أمريكا اللاتينية، وأيضًا كارلوس خوينسى، ماريو فارجاس لوسا، جوليو كورتازار وجوسيه دونوسو.

وقد مزجت أعمال الواقعية السحرية التصوير الواقعى للأحداث والشخصيات بالفانتازيا والخرافة منتجة عالمًا غنيًا واقعى وخيالى فى نفس الوقت.

ولم يبق هذا التيار الروائى حكرًا على ثقافة أمريكا اللاتينية فقط، فهناك كتاب من خارج القارة ينتمون إلى ثقافات مختلفة وظفوا فى رواياتهم جماليات الواقعية السحرية.

والواقعية السحرية وريثة تراثنا العربى، فقد تأثر كتاب أمريكا اللاتينية بكتاب (ألف ليلة وليلة) فى رواياتهم.

فالواقعية السحرية نتاج التراث بقصصه الشعبية وألف ليلة وليلة والمقامات والأمثال ورسالة الغفران، والتوابع والزوابع وحكايات أنسنة الكائنات فى كليلة ودمنة ومحاكمة الجن للإنس والأساطير العربية.

فروافد العالم الواقعى السحرى متأصلة ومتجذرة فى التراث العربى، فالواقعية السحرية هى إعادة إنتاج لتراثنا فمن خلال ما عكفت عليه دراستنا من أنماط للسرد فى

الغرائبى والعجائبى والأسطورى فى التراث يتبين لنا كيف كانت مرجعيات الواقعية السحرية متجذرة ضمن تراثنا السردى القديم.

ونطمح فى هذ الدراسة إلى استقراء الواقعية السحرية فى النتاج الروائى المعاصر فى مصر لنرصد إلى أى مدى تتواجد الواقعية السحرية فى رواياتنا المعاصرة.

وقد وقفنا عند الدراسات المتصلة بموضوع البحث فمن الدراسات العالمية :

- الواقعية السحرية وكيف نفهمها، تأليف / أنجيلا بيلى، ترجمة خضير اللامى.
- ما بعد التعبيرية الواقعية السحرية للمؤرخ الفنى فرانزروه.
- مسار الرواية الاسبانوأمريكية من الواقعية السحرية إلى الثمانينات، داريوبيانوبيا، ترجمة د/ محمد أبو العطا.
- غابريل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، ترجمة د/ عبد الله حمادى.
- رحلة فى جماليات رواية أمريكا اللاتينية، د/ ماجدة محمود، اتحاد الكتاب العربى.

أما الدراسات الخاصة (المصرية) :

- الواقعية السحرية فى الرواية العربية، د/ فوزى عيسى، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٩.
- الواقعية السحرية فى الرواية العربية، د/ حامد أبو أحمد، دار السندباد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى أربعة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع.

ويتناول الفصل الأول نشأة الواقعية السحرية.

والفصل الثانى : الأسطورة (المصطلح والمفهوم).

والفصل الثالث: العجائبى والغرائبى فى التراث.

والفصل الرابع : يتناول نماذج (دراسات) تطبيقية.

من خلال عرض نماذج لبعض الروايات رأينا أنها تمثل هذا الاتجاه مثل بعض روايات نجيب محفوظ وجمال الغيطانى وأحمد صبرى أبو الفتوح وإبراهيم عبد المجيد وطارق إمام بالنقد والتحليل.

ولا يسعنى إلا أن أعبر عن تقديرى لأستاذى الدكتور **فوزى عيسى** الذى لم يدخر جهدًا فى معاونتى.

والله الموفق،

التمـهيـــد

مفهوم الواقعية السحرية :

ظهر مصطلح "الواقعية السحرية" بين عامى ١٩٢٤، ١٩٢٥، ويرجع الفضل إلى الناقد التشكيلى الألمانى فرانز روه "Franz Roth" فى ابتكار المصطلح الذى جمع بين دلالات "الواقعية" الخاصة باستخدام عناصر من الواقع الاجتماعى الحسى والمرئى فى تكوين أحداث وشخصيات العمل الفنى وبين عناصر تنتمى إلى عالم الخيال والأسطورة، عالم معاكس للعالم الواقعى، وقد أطلقه على "الرسم التعبيرى".

أما الواقعية السحرية فى الأدب فقد بدأت عام ١٩٣٥ وبلغت عصرها الذهبى فى خمسينات وستينات القرن العشرين.

وكتاب أمريكا اللاتينية أول من بدأ الكتابة (الواقعية السحرية)، فقد اهتموا بالواقعية السحرية والغرائبية (الفانتازيا) فى كتاباتهم.

لقد تناول العديد من الموسوعات والقواميس، هذا المصطلح بالتعريف.

"فدليل أكسفورد للأدب الإنجليزى"(*) يقول : «إن الواقعية السحرية هى الروايات والقصص القصيرة التى تتوفر بصورة نموذجية على دينامية سردية قوية يندمج فيها الواقعى الذى يمكن تمييزه بغير المتوقع والمتعذر تفسيره، وترتبط فيها الأحلام والقصص الخرافية والميثولوجيا مع اليومى فى نمط موزرائيكى أو متغير الأشكال.

أما "قاموس التراث الأمريكى"(**) فيقول عن الواقعية السحرية «أنها أسلوب أو نوع أدبى بدأ فى أمريكا اللاتينية، يربط العناصر الخيالية والوهمية بالواقع».

وتقول موسوعة الأدب العالمى فى القرن العشرين(***) «إنها اندماج متفرد لمعتقدات وخرافات مجموعات ثقافية مختلفة، وشأنها شأن الأسطورة، فإنها أيضًا توليفية وإجمالية بصورة أساسية لوصف الواقع، وقد وجدت أرضيتها فى الواقع اليومى وعبرت عن

(*) نقلاً عن الواقعية السحرية، د. فوزى عيسى، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(**) نقلاً عن المصدر نفسه.

(***) نفسه.

دهشة الإنسان إزاء عجائب العالم الواقعى، وهى تنقل للقارئ رؤية للسمات الخيالية للواقع.

أما قاموس أوكسفورد للمصطلحات الأدبية[*] فيصف الواقعية السحرية بأنها «نوع من الرواية الحديثة يتضمن السرد فيها أحداثًا خرافية وخيالية تظل محتفظة بطابع الموثوقية فى الروى الواقعى الموضوعى، وهى تدل على ميل الرواية الحديثة للوصول إلى ما وراء حدود الواقعية وإعادة صياغة قدرات الخرافة والحكاية التراثية والأسطورة فى الوقت الذى تظل محتفظة فيه بصلة ارتباط اجتماعية قوية.

إن الصفات الخيالية التى تمنح للشخصيات فى هذه الروايات مثل القدرة على الطيران أو السباحة فى الهواء والتخاطر والحركية. هى من بين الوسائل التى تتبناها الواقعية السحرية.

ومما قاله ماركيز فى تعريف الواقعية السحرية «إن الأشياء الأكثر دخولاً فى حالة الاعتساف الظاهر تحكمها قوانين، والمرء يستطيع أن يزيح مساحة العقل بشرط ألا يقع فى الفوضى، أى فى اللاعقلانية المطلقة»[١].

«أعتقد أن الخيال ما هو إلا أداة لتشكيل الواقع، لكن مصدر الخلق أولاً وأخيرًا هو دائمًا الواقع، أما الفانتازيا، أو الاختراع الخالص والبسيط، على طريقة والت ديزنى، هو أكثر الأشياء إثارة لكراهيتى»[٢].

وقد عرف الدكتور فوزى عيسى الواقعية السحرية بأنها «مزيج من الواقع والخيال ومن خصائصها أن العادى واليومى يتحول إلى ما هو مرعب وغير واقعى، فهى من المفاجآت حيث يحدث غير الواقعى على أنه جزء من الواقع، وليس للأحداث التى تقع فيها تفسير منطقى. إنها لا تحاول أن تستنسخ الواقع بل تحاول أن تفهم الغموض الكامن وراء الأشياء، وهى محاولة لفهم الواقع»[٣].

---

[*] نقلاً عن الواقعية السحرية فى الرواية العربية، د. فوزى عيسى، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى.

[١] فى الواقعية السحرية، د/ حامد أبو أحمد، دار السندباد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٤٤.

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٥.

[٣] الواقعية السحرية فى الرواية العربية، د. فوزى عيسى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩م، ص ٦.

«وقد رأى عدد من النقاد فى أمريكا اللاتينية من بينهم بالنثيا – روث أن الواقعية السحرية هى الوعى الأسطورى بالعالم، ففى الوعى الأسطورى نجد العالم، على الرغم من امتلائه بالأسرار، إلا أنه مفهوم، فليس ثمة أى حدث مفاجئ، أو أى حدث ليس له تفسير فبعث الموتى، ومسخ الحيوانات إلى أشخاص أو نباتات أو العكس والتطابق بين الكون والمكان، وأبدية اللحظة والحشر، كل هذا شىء عادى جدًا، وهذا هو ما أطلق عليه النقاد "الواقعية السحرية"[١].

وترجع أصول الواقعية السحرية فى مصر والعالم العربى إلى حكايات (ألف ليلة وليلة) وقصص التراث والمقامات والأمثال الشعبية والمأثور الشعبى، فالواقعية السحرية تحمل فى طياتها الخيال ولكن على أرض الواقع من خلال التداخل والامتزاج بين العالمين عالم الخيال وعالم الواقع فى بنية سردية متداخلة وجديدة.

[١] الواقعية السحرية فى الرواية العربية، د/ حامد أبو أحمد، ص ٤٢، ٤٣.

الفصل الأول

نشأة الواقعية السحرية

ظهرت الواقعية السحرية فى أمريكا اللاتينية خلال القرن العشرين وقد حصلت على شهرة عالمية لا مثيل لها؛ لظهور عدد كبير من كتاب أمريكا اللاتينية يمثلون هذا الاتجاه.

فطبيعة أمريكا اللاتينية من حيث أنها تضم عددًا كبيرًا من الدول والشعوب جعل نهضة الأدب فيها شديدة التوسع،فقد استُعمرت أمريكا اللاتينية من قِبل (أسبانيا والبرتغال وفرنسا) الدول التى تتحدث اللغة اللاتينية. فنجد اللغة الأسبانية تسود معظم دولها ثم اللغة البرتغالية ثم الإنجليزية والفرنسية.

وقد أدى ذلك إلى تراث ثقافى متعدد الهوية الذى يشكل مكونات التراث الأسبانى المتنوع.

أيضًا من العوامل التى ساعدت رواية أمريكا اللاتينية على التطور (حقيقة الخمود الأسلوبى والخيالى الذى كانت أسبانيا غارقة فيه فى تلك الفترة)[1].

لقد عانت أمريكا اللاتينية من وحشية الاستعمار؛ فقد تم تدمير معظم معالم حضارة أمريكا اللاتينية من ثقافة ونظم حياة اقتصادية واجتماعية بدعوى تنصيرها.

فبدأ كتاب أمريكا اللاتينية يتبعون طريقة تستوعب التنوع والتعقيد فى تلك القارة التى انصهرت فيها الثقافات المختلفة وامتزجت اللغات المتعددة.

فها هى التقاليد الهندية القديمة المليئة بالأسطورة تمتزج بالثقافات الغربية والشرقية والحضارات المختلفة تتشابك معًا وتمتزج اللغات فى بوتقة واحدة لتخرج لنا لغة جديدة؛ لغة تناسب الظروف التاريخية والمحن التى تعرضت لها أمريكا اللاتينية(فقر، تجارة مخدرات، تعذيب، نفى، مذابح).

فكان الأسلوب الأدبى الذى يتناسب مع فوضى الواقع فترتبط الأسطورة والحلم والخرافة مع الواقع يتواجدان على أرض واحدة فى محاولة للتمرد ليس على الأساليب التقليدية للرواية وحدها بل على الواقع الفعلى للحياة فى محاولة لإعادة اكتشاف الواقع من خلال خلق جديد للواقع والخيال فيصبح الخيال أداة لتشكيل الواقع.

---

[1] مسار الرواية الإسبانوأمريكية الراهنة من الواقعية السحرية إلى الثمانينات، تأليف داريو بيانوبيا، خ.م بينياليستى، ترجمة د/ محمد أبو العطا، إهداءات، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ص ٥٩.

فكان استلهام الواقعية السحرية من واقع القارة إبداعًا حقيقيًا فى أسلوب روائى مبتكر أسلوبًا خاصًا فى اللغة والخيال لا يعكس الواقع وإنما هو يخلقه فى العمل فتصبح شخصية الرواية واقعية بسحرها وبما تحمله من خيال.

وهى ليست كما يبدو فى الظاهر خرافة، أسطورة فانتازيا، سحر يمتزج بالواقع كأنما هو امتزاج لشيئين متضادين أو متنافرين؛ بل هى رؤية عميقة للواقع من خلال التحرر من الواقع الفعلى بارتياد آفاق لاواقعية تعيد الإنسان إلى الأسطورة فتخلق واقعًا جديدًا حيًا نابضًا ثريًا.

«فالفانتازيا المستخدمة بحس مازح باختلاف درجاته لا تفعل ذلك دائمًا لتخدر الواقع أو تخاتل الوعى، بل لتنشيط إبداع مشترك وحثيث لواقع آخر مختلف وأفضل»[١].

«فالواقعية السحرية ليست نقيضًا للواقعية بمفهومها الشائع بل هى إثراء لهذا المفهوم وإدخال لعنصر جدلى فى تركيبها وتأكيد لعوامل حقيقية فعالة فى بنيتها»[٢].

«بمعنى أنها تكون واقعًا جديدًا ترقد فى داخله المظاهر الموضوعية جنبًا إلى جنب مع لب الأسطورة»[٣].

يقول ماركيز فى حواراته مع بلينيو ميندوثا «فى منطقة الكاريبى التى أنسب إليها اختلط الخيال الفياض للعبيد الأفارقة بخيال أبناء البلد الأصليين من الكولومبيين السابقين، ثم أضيف إلى ذلك شطحات الأندلسيين وممارسة الجليقيين (أبناء منطقة جيلقية فى إسبانيا) للشعائر الخارقة للعادة، ومن هنا ظهر أدب وموسيقى وفن يعبر إجماليًا عن هذه المنطقة من العالم»[٤].

---

[١] مسار الوراية الإسبانوأمريكية الراهنة من الواقعية السحرية إلى الثمانينات، ترجمة د/ محمد أبو العطا، تأليف/ داريوبيانوبيا، ص ٥٥.

[٢] منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى، د. صلاح فضل، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٧٣.

[٣] المرجع السابق، ص ٧٣.

[٤] غابريل غارسيا ماركيز، رائد الواقعية السحرية، ترجمة وتقديم د/ عبد الله حمادى، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، إهداءات ٩٨، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

ومن الأسباب التى أدت إلى نشأة الواقعية السحرية :

- السيادة الطاغية للسيريالية خلال عقد العشرينات من القرن الماضى كان لها صلة بالواقعية السحرية (لزام علينا أن نعترف بما مارسته السيريالية من حافز فى هذه الخطوة الحاسمة نحو أشكال جديدة للسرد ...)[١].

«كما أبرز دونالدشو Donald Show أن السيريالية استحثت الأصول الأسطورية والخرافية للواقعية السحرية الأمريكية، فازدهرت مكونات هامة ضاربة بجذورها فى نظرة سكان أمريكا الأصليين للكون وفى إدراكهم للفضاء الطبيعى وللزمن وفى تعبيراتهم الأمثولية والرمزية»[٢].

وإذا علمنا أن فرانز روه (Franz Roh) عندما صاغ مفهوم الواقعية السحرية كان ذلك فى فترة السيادة للسيريالية فى كتابه (ما بعد التعبيرية، الواقعية السحرية) المنشور فى عام ١٩٢٥ والمترجم إلى الأسبانية بعد ذلك التاريخ بعامين.

هذا بالإضافة إلى الخصائص المشتركة بين السيريالية والواقعية السحرية؛ ففى بيان السيريالية لاندريه بريتون يعلن أن من خصائص السيريالية البحث عن العجائبى، شعرية الحلم، وتمثيل اللاشعور والكتابة الآلية والصور الصادقة التجديدية والتجريب من خلال اللغة والمونولوج الداخلى، والمشاهد الاستنباطية والمونتاج، والسرد غير المرتب ترتيبًا تعاقبيًا (تفتيت الزمن)، المفردات متعددة المعنى والاستعارات الصادقة»[٣].

- «زيادة تمركز الدولة وهيمنتها على جميع المرافق الحياتية والاقتصادية والثقافية يدفع بالروائى إلى منطقة العناصر الغيابية»[٤].

---

[١] مسار الرواية الأسبانوأمريكية الراهنة من الواقعية السحرية إلى الثمانينات،تأليف داريوبيانوبيا، خ. م. بينياليستى، ترجمة محمد أبو العطا، ص ٤٧.

[٢] نفس المرجع السابق، ص ٤٧.

[٣] الواقعية السحرية، د. حامد أبو أحمد، دار سندباد للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ص ٣٥.

[٤] المقموع والمسكوت عنه فى السرد العربى، ت/ فضل ثامر، دار المدى للطبع والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ١٤.

- «ومنها الواقعية السحرية فهى من جهة واقعية بتفاصيلها ومرجعيتها وسحرية بأفقها الخيالى والغرائبى والسحرى «فالبعد الغرائبى أو الفانتازى يسهم فى مواجهة حالة القهر الإنسانى اللامعقول عن طريق توظيف الخيال واختراق سكون السطح الواقعى»[١].
- عمليات التضاغط الاجتماعى والسياسى والنفسى ضد الروائى تجعله يلجأ للتغييب للخطاب الروائى نتيجة ضغط الواقع الخارجى وسلطاته القامعة فيتجه للفانتازيا والغرائبية والأسطورة ويعطيها صفة المعقولية.

«أما الأديب فيطمح من خلال رؤاه وغرائبيته (الفانتازية) إلى الرفض الواعى للقمع والظلم من أجل رفع مستوى حياة الفرد والجماعة والتأكيد على احترام كرامة جميع البشر والحض على النفاذ إلى تلك الحرية العميقة التى تحقق قيمة الفرد وكرامته»[٢].

- إن فى اللامعقول سحرًا يفتن الألباب فعندما يجسد الروائى هذا الجانب فى أدبه بطريقة معقولية فهو يأخذ روعة الجانبين الواقعى والخيالى.
- تأثير الحروب فالحرب هى حالة جنون على نطاق واسع فكانت الواقعية السحرية انعكاسًا لحياة فقدت معقوليتها.

يقول أحد النقاد «إن ظهور الواقعية السحرية أو العجائبية ليس مردّه الواقع العجائبى، وإنما الواقع المروع».

- الإحساس بالضيق من رتابة العقل وتنظيم المنطق باستخدام طرق أخرى للتعبير.
- طغيان العلمانية على الحياة جعلتنا بحاجة إلى متنفسًا للسأم من المعقول.
- تطور الحياة والحضارة وتغيرها بعدنا عن وجودنا الحقيقى فأدى إلى الحاجة إلى التغير فى الأسلوب والشكل الأدبى للرواية.

---

[١] المقموع والمسكوت عنه فى السرد العربى، ت/ فضل ثامر، ص ٨٦، ٨٧.

[٢] رحلة فى جماليات رواية أمريكا اللاتينية، د. ماجدة محمود، (اتحاد الكتاب العرب)، دمشق ٢٠٠٧م، ص ٢١، ٢٢.

الفصل الثانى

الأســطورة
(المصطلح والمفهوم)